كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

العملات العابرة للحدود في غرب أوروبا في العصر الوسيط
"العملة الإسلامية المنقوشة نموذجاً"

إعداد

د/ إيمان عبد التواب خلاوى حسنين

قسم التاريخ– كلية الآداب – جامعة دمنهور– مصر

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الخامس)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

العملات العابرة للحدود في غرب أوروبا في العصر الوسيط
" العملة الإسلامية المنقوشة نموذجاً"

إيمان عبد التواب خلاوى حسنين
قسم التاريخ– كلية الآداب – جامعة دمنهور– مصر.
الإيميل الجامعي : eman.khalawi@art.dmu.edu.eg

الملخص :

في عالم العصور الوسطى كانت هناك "عملات عابرة للحدود"، لأنها عملات لم تعترف بحدود سياسية، أو دينية، أو لغوية، أو عرقية...إلخ ، ومن تلك العملات القيمة عملة "المنقوشة" التي اشتقت اسمها من النقش العربي الإسلامي الذي رسم عليها، على الرغم من أن بداية العملة المنقوشة كانت في "المشرق الإسلامي" كدينار إسلامي ، إلا أنها سرعان ما انتقلت إلى أوروبا الغربية وتم تداولها في فرنسا، وإيطاليا، وإنجلترا، وألمانيا. ولقد كان المنتفع الأول من المنقوشة الطبقات الغنية في المجتمع من النبلاء والتجار بالإضافة إلى الملوك والأمراء فاستحقت عملة المنقوشة؛ لسهولة تداولها وحجم الثقة التجارية فيها خارج الحدود الأوروبية أو داخلها أن توصف بأنها "عملة الملوك والتجار". ولقد سعى البحث إلى تناول عدة إشكاليات تاريخية حول كيفية انتقال هذه العملة الإسلامية إلى داخل حدود الغرب الأوروبي، ودراسة موقف البابوية من عملة المنقوشة. فهل رحّبت باستخدامها أم أنها حرمت تداولها؟ خاصة أن عملة المنقوشة شهدت عصرها الذهبي في الوقت الذي سعت البابوية إلي حصار المسلمين تجاريًا سواء علي مستوى التجارة الحدودية أو التجارة الخارجية بصفة عامة، فيما يشكل الإرهاصات الأولى لفكرة الحصار الاقتصادي. كذلك يشير البحث إلى الدور الذي لعبه المسلمون لتقوية ودعم عملة المنقوشة الإسلامية خاصة في مناطق الحدود

المشتركة في إسبانيا، وجنوب إيطاليا، وصقلية، إلى أن تم إيقاف التعامل بها في غرب أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي .

الكلمات المفتاحية : العملات – العابرة للحدود – غرب أوروبا – العصر الوسيط العملة الإسلامية – المنقوشة.

Cross border Coins in Western Europe in The Middle Age
The Islamic Mancus Engraved" as a model.

Iman Abd el Tawab Khalawy Hassanin
Department of History - Faculty of Arts - Damanhour University- Egypt.
Email: eman.khalawi@art.dmu.edu.eg

Abstract :

In The world of Medieval ages, there were "cross-border currencies", because It did not recognize political, religious, linguistic, ethnic borders. One of these coins was the Engraved coin whose name derived from the word manqush in relation to the Arabic and Islamic writings and drawings on which it was written. Although the beginning of the engraved coin was in the " Islamic Orient " as an Islamic dinar, but it soon moved to Western Europe and was Circulated in France, Italy, England and Germany. the first beneficiary of this gold coin was the rich classes of the nobility , merchants in addition to the kings & The clergy .Mancus for its easy circulation outside or within European borders can be described as "the currency of kings and merchants". The research has attempted to answers several historical issues about this Islamic currency such as: how this Islamic currency moved in to the borders of the Western Europe ? and study the Attitude of the papacy from the Mancus ? Did they welcome their use or prohibit their circulation? . and Because the Mancus was witnessed its golden age at a time ,when the papacy sought to Besieged the Muslims commercially either at the border trade or foreign trade in general, while constituting the primary obstacles to the idea of economic siege. The study also refers to the role

played by Muslims to reinforcement and supporting the Islamic Mancus, especially in the common border areas in Spain, southern Italy and Sicily, until it was stopped in Western Europe in the ١٣th century .

Keywords : Coins, Cross border, Western Europe, The Middle Age, Islamic Coins, Manqush

المقدمة

في عالم العصور الوسطى كانت هناك "عملات عابرة للحدود"، أي أنها عملات لم تعترف بحدود سياسية، أو دينية، أو لغوية، أو عرقية...إلخ. وكان تداول تلك العملات وجواز مرورها شرقاً أو غرباً هو قوتها الاقتصادية وثقة التجار في سهولة تداولها، نظرا لاستحالة غشها أو التلاعب في قيمتها. فأصبحت تلك العملات محل اتفاق ورضى من جميع الأطراف، سواء داخل العالم الإسلامي أو العالم المسيحي في غرب أوروبا في العصور الوسطى، وقد تجلى ذلك في تداول بعض العملات الإسلامية في دول الغرب الأوروبي الكاثوليكي ؛ مثل: عملات الطري Tarì في صقلية وجنوب إيطاليا [1] ، والدينار المرابطي في الأندلس

(١) الطري Tarì عملة إسلامية من الذهب سكها المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا ومالطا حينما كانت تحت الحكم الفاطمي ، وكان المسلمون يطلقون عليها الربع لأنها تكافئ ربع دينار إسلامي من الذهب (الدينار الإسلامى يساوي ٤.٢٥ جرام من الذهب ، وبالطبع في أوقات الضعف لم يكن هناك التزام بالوزن الشرعي) ، وكان غالبا يسك الطرى من الذهب الأفريقي أوالتونسي ، ومنذ منتصف القرن العاشر الميلادي أخذت المدن الإيطالية مثل: أمالفى وسالرنو فى تقليد الطري الإسلامي حيث لاقى رواجاً واسعاً في إيطاليا ، وحينما غزا النورمان صقلية في القرن الحادي عشر الميلادي ، وكذلك سالرنو وبالرمو قام روجر الثاني ملك صقلية بالاستمرار في استخدام التارى بنقوشه الإسلامية بالخط الكوفي دون تغيير ، وكان الطري الذهب الذى يسك في صقلية من عيار ١٦ المضاف إليه الفضة ، بينما الطري الذى يسك فى أمالفى من عيار ١٠ أي أنه أقل في الجودة والنقاء ، واستمر سك العملة في عهد أسرة الهوهنشتاوفن فى القرن الثالث عشر الميلادي في عهد الإمبراطور فردريك الثانى ومانفريد وكان يسك فى سالرنو ثم نقل سك العملة في مدينة برنديزي Brindisi . لمزيد من التفاصيل انظر :

Donald Matthew : The Norman Kingdom of Sicily , Cambridge University Press, Cambridge , New York , 1992 , p. 240 , Philip Grierson, Lucia Travaini: Medieval European Coinage "South Italy, Sicily, Sardinia " , vol. 14 , Cambridge University Press , Cambridge UK. , 1998 , p. 37, 40 , 78 .

Maravedí [٢] والذي بلغت سمعته الآفاق وتفوق فيما بعد حتى على الدينار المشرقي ، والمنقوشة Mancus [٣] الإسلامية في الغرب الأوروبي ؛ فكانت تلك

---

(٢) الدينار المرابطي Maravedí هو عملة إسلامية ظهرت في الأندلس منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، كان يسك من الذهب ثم من الفضة فيما بعد وقد ارتبط ظهوره كما يتضح بدولة المرابطين في الأندلس وقد سك الدينار المرابطي في الأندلس من الذهب الذى كان يجلب أغلبه من السودان ومن المغرب الإسلامي أو بمعنى أدق شمال وغرب أفريقيا ، وفى القرن الثاني عشر قام فرديناند الثاني ملك ليون ، وألفونس الثامن ملك قشتالة باتخاذه عملة الدينار المرابطي تحت مسمى Morabetino أو Maravedí مع الاحتفاظ بالنقوش العربية لكن الكلمات والنقوش التي كانت عليها مسيحية ، وكان وزنه آنذاك ٣.٨ جراماً من الذهب ، وفى القرن الثالث وتحديدا في عهد جيمس ملك أراجون ، و ألفونس العاشر ملك قشتالة تم تخفيض وزنه من الذهب تدريجيا وتم سكه من الفضة ، ومع تولي ألفونس الحادي عشر حكم قشتالة لم يطلق على أي عملة من العملات التي أصدرها اسم Maravedí وأصبح مجرد وحدة قياس نقدية ، وهناك آراء تؤكد أنه تم الاستمرار في استخدامه حتى بداية عهد الكشوف الجغرافية واكتشاف الأمريكتين ، حيث كان الدينار المرابطي الفضي يسك في أسبانيا ويتم تداوله فى الأمريكتين . لمزيد من التفاصيل انظر : Ronald A. Messier : The Almoravids: West African Gold and the Gold Currency of the Mediterranean Basin , in JESH., Vol. 17, No. 1 (Mar. 1974) , p. 31-3 , 40-1 ; Joseph F. O'Callaghan : The Last Crusade in the West " Castile and the Conquest of Granada" , University of Pennsylvania Press , Philadelphia , 2014 , p. vii ; ALBERT R. FREY : A Dictionary OF Numismatic Names "Their Official & Popular Designations " , in A.J.N , American Numismatic Society , Vol. 50 , 1916, p. 143 .

(٣) هي عملة كانت سائدة في العصور الوسطى ، وكانت تقدر بـ ٤.٢٥ جرام من الذهب ، أو ما يكافئ ٣٠ بنس من الفضة – وفي نهاية القرن الثامن في عهد الأسرة الكارولنجية كان البنس يكافئ ٢جرام ، وأحياناً يساوى ١.٧٠ جراماً – ، حيث ساد اعتقاد أنها تكافئ دينار ذهب من العملة الإسلامية ، حتى إن منطوق كلمة mancus مأخوذة من الكلمة العربية " منقوشة " ، للإشارة إلي النقش الموجود علي العملة ، وكانت وحدة المنقوشة أخف وزناً من الصولدي البيزنطي . وهناك من يري أن منقوشة مأخوذة من الكلمة اللاتينية "Mancus" =

العملات بمثابة – الدولار الأمريكي في الوقت الحاضر – أو بمعنى أدق أن تلك العملات كانت الواجهة الاقتصادية والقيمة المادية الاعتبارية للدولة الإسلامية كقوة عظمى آنذاك. فاستطاعت عن جدارة أن تملأ الفراغ النقدي المادي والمعنوي التي واجهته بلاد الغرب الأوروبي حينما سادت حالة من الانهيار الاقتصادي بعد سقوط غرب الإمبراطورية الرومانية تحت أقدام البرابرة الجرمان منذ القرن الخامس حتى القرن الثامن الميلاديين، صحيح أنه كانت هناك عملات محلية في غرب أوروبا لكنها كانت رديئة الصنع ومن معادن رخيصة لا ترقى لمستوى المعاملات التجارية فيما وراء الحدود ولم يكن هناك عملة لها هذا الوضع الاقتصادي القوى غير الصولدى البيزنطي.

= وتعنى "defective" ، وتعنى المعيب أي به عيب ، وهناك من يرى أنها مشتقة من اللغة الفرنسية القديمة "Mangon" وقد استخدمت للتعبير عن خاتم أو أسورة من العملات الذهبية، وخلاصة القول: إنه حتى من يري هذا الرأي لا ينكر وجود عملة تسمى المنقوشة (٤.٢٥جرام ذهب) كانت تنافس الصولدي البيزنطي الذي تقدر قيمته بـ (٤.٥٥جرام ذهب)

Mark Blackburn , Philip Grierson : Medieval European Coinage " The Early Middle Ages 5 th -10 th Centuries " , Vol. 1, Cambridge University Press , Cambridge , 1991 , p. 327 ; Urban T. Holmes : Old French Mangon, Anglo-Saxon Mancus, Late Latin Mancussus, Mancosus, Mancessus, etc. , in P.M.L.A, Vol. 53, No. 1 (Mar., 1938), p. 34 -35 , 37 .

المحور الأول

بداية ظهور عملة المنقوشة الإسلامية،

وكيفية انتقالها إلى غرب أوروبا "مرحلة الاقتباس".

تعد عملة "المنقوشة" الإسلامية من أهم العملات الإسلامية التي تم تداولها في غرب أوروبا في العصور الوسطى ، وقد اختلفت الآراء التاريخية حول أصلها بيد أن الرأي الأقوى في أدلته التاريخية أن كلمة "Mancus" أصلها مشتق من الفعل العربي "نقش" وبالإنجليزية « Engraved » للدلالة علي النقش والكتابة العربية البارزة التي رسمت علي الدينار الإسلامي ، وهو وصف استخدمته المصادر التاريخية المعاصرة في غرب أوروبا في العصور الوسطى وكتبته لاتينياً بنطقه العربي Mancus أي "المنقوش" مما يعنى أن الدينار الإسلامي عرف في المشرق بالدينار وفى الغرب الأوروبي بالمنقوشة سواء كان ذهبياً أو فضياً . لكنه في مرحلة لاحقة تحولت المنقوشة من الدينار الإسلامي بصفته وأصله العربي إلى عملة أوروبية تحاكى أو تقلد الدينار الإسلامي سواء باحتفاظها بالنقوش الإسلامية أو بإدخال بعض التعديلات البسيطة مع الحفاظ على الطابع الإسلامي للعملة، وأخيراً حدث تمرد على المنقوشة الإسلامية وتوقف استخدامها لأسباب دينية ولاختلافات جوهرية أوقدها الصراع الديني، والاقتصادي، والفكري بين الغرب والشرق .

وقد ارتبط ظهور الدينار الإسلامي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٤٦-٧٠٥م / ٢٦- ٨٦هـ) بفكرة التحدي وإثبات الذات أمام الإمبراطورية البيزنطية ، وسرعان ما فرض الدينار الإسلامي مكانته كعملة قوية علي الساحة التجارية في العصور الوسطى ، ليحل محل الصولدى البيزنطي في حوض البحر

المتوسط(٤)، تلك العملة التي سيطرت علي التجارة العالمية لقرون عديدة لكن المسلمين نجحوا في تحجيمه وعزل تأثيره على التجارة في المنطقة لصالح الدينار الإسلامي، ومع امتداد حركة الفتوح الإسلامية في الشمال الأفريقي وبلاد الأندلس كان من المنطقي أن يحمل المسلمون معهم الدينار الإسلامي كعملة جديدة ترمز

---

(٤) ذكر في المصادر الإسلامية أن عبد الملك بن مروان كان يستخدم الطوامير أي القراطيس أو الصحف التي تكتب عليها المراسلات والمعاملات وكانت هذه القراطيس ترد من مصر ومكتوب عليها ديباجة ثابتة باسم عقيدة التثليث عند المسيحيين، فأمر عبد الملك بن مروان أن تحذف تلك الديباجة وتستبدل بها البسملة وقوله تعالى:"قل هو الله أحد" وحينما لحظ الامبراطور البيزنطى هذا التغيير في المكاتبات الواردة من الدولة الأموية ، وعلم معناها أرسل يحذر الخليفة عبد الملك بن مروان بالتراجع عن موقفه وإلا سيأمر بإصدار عملة يسب فيها سيدنا محمداً . عليه الصلاة والسلام . ، وحينما تشاور عبد الملك مع المقربين منه أشاروا عليه بعدم التراجع عن موقفه وأن يضرب عملة إسلامية جديدة ويمنع نهائيا التعامل بالعملة البيزنطية ، وظل فترة طويلة يمتنع عن إرسال القراطيس إلى الإمبراطور البيزنطي ، وقد تشدد عبد الملك بن مروان في مراقبة الدينار الإسلامي وأمر عماله بالمراقبة الشديدة ومنع سك أي عملة أخرى لدرجة أنه أمر بقطع يد رجل كان يسك عملة غير المسلمين ولكنه تراجع وأمر بعقابه وسجنه ، وكان خلفاء عبد الملك أكثر حرصا وإخلاصاً في فرض التدابير التي تحمي الدينار، حتى إن الخليفة عمر بن عبد العزيز فيما بعد أحضر له رجل سك العملة علي غير عملة المسلمين فعاقبه وحبسه وألقى ما صنع في النار، لمزيد من التفاصيل أنظر: أبا العباس أحمد بن يحيى البلاذري : فتوح البلدان ، تحقيق وشرح وتعليق: عبدالله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص٣٣٥- ٣٣٦ ، ٦٥٧ ؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت. ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: عبد المجيد ترحينى ، ج ٢١-٢٢ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ص ١٣٧ ؛

Theophanes : The Chronicle Of Theophanes , Trans. By Harry Turtledove, University of Pennsylvania Press , Philadelphia , 1982 , p. 63.

للاستقلال الاقتصادي، والديني، والسياسي فأصبح التعامل بالدينار أمراً واقعاً يدعمه التوجه الديني، والقومي، والعسكري للفاتحين، وكان علي جيران المسلمين مثل: ألمانيا، وفرنسا، وإنجلترا، والمدن الإيطالية، وغيرها من بلاد الغرب الأوروبي الكاثوليكي أن يتعاملوا بالدينار الإسلامي كأمر واقع؛ ليضمنوا بذلك استمرار التعامل التجاري مع جيرانهم المسلمين، خاصة أنه منذ سقوط الغرب الأوروبي تحت أقدام البرابرة الجرمان لم تتواجد عملة محلية أوروبية قادرة على التصدي لاجتياح الدينار الإسلامي للغرب الأوروبي ، ومن المنطقي أن المسلمين لن يقبلوا التعامل بعملة أوروبية محلية بينما يمنحون الذهب للتجار الأوروبيين ، فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير .

وهناك تساؤل خطير يطرح نفسه وهو لماذا لم يقم الأباطرة الكارولنجيين باستخدام الصولدي البيزنطى كبديل قوي لمواجهة الدينار الاسلامى؟ وتتلخص الإجابة في نقطتين محوريتين هما: أن الإمبراطور شارلمان Charlemagne (٧٤٨-٨١٤م) الذي أحيا الامبراطورية الرومانية المقدسة في الغرب الأوروبي عام ٨٠٠م، قد ألغى الاعتماد على الصولدى البيزنطي داخل حدود الإمبراطورية الكارولنجية بسبب قلة الذهب كمعدن ثمين داخل حدود الإمبراطورية، وأصدر عملة تعرف بالدينار الفضي جعله العملة الأولى في البلاد ، فكان الصولدى البيزنطي يساوى اثنى عشر ديناراً فضياً ، ويعتقد أن إصدار الدينار الفضي كان في المدة من عام ٧٩٣- ٨١٢م [٥] ، لينسلخ تماما عن تبعيته للإمبراطورية البيزنطية سياسياً

(5) Einhard : The Life of Charlemagne , Tran. By Samuel Epes Turner , Harper brother , New York , 1880 , p. 65 – 66 ;

محمود سعيد عمرا:النقود في أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ٢٠١١م، ص ٦٧، ٦٩- ٧٠ .

ودينـاً، لم يكن له أو لخلفائه أن يرتدوا عن استقلالهم السياسي ويقبلوا بالتبعية الاقتصادية للصولدى البيزنطي . والأمر الآخر أن الغرب الأوروبي كان واقعاً بين "شقى الرحى" بمعنى أنه واقع بين المسلمين في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا والشمال الأفريقي، وبين الخلافة الإسلامية في المشرق الإسلامي، وأن تحكم المسلمين في دور الوسيط العالمي للتجارة بين الشرق والغرب كفيل بفرض ما يرتضونه من عملة إسلامية دون غيرها وإلا توقفت حركة التجارة ومنع عن الغرب الأوروبي التجارة القادمة من قارتي أسيا وأفريقيا سواء كانت بضائع إسلامية أو غير ذلك.

حازت عملة المنقوشة منذ ظهورها في القرن السابع الميلادي القبول، واستمرت حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي على ثقة وقبول الملوك والتجار الأوروبيين بالإضافة إلى ثقة التجار في المناطق الحدودية المشتركة مع المسلمين، أو حتى في التعاملات الخارجية بين ملوك أوروبا وبعضهم البعض، ويكفي أن نذكر آراء أحد المؤرخين حول موقف تجار الغرب الأوروبي من الدنانير الإسلامية المنقوشة حينما أكدوا أن التجار المسلمين وكبار التجار الإيطاليين وبالمثل الأنجلوسكسونيين قد رفضوا التعامل بغير الدنانير الإسلامية المنقوشة مضمونة العيار والوزن، ولذا فقد اضطر جميع التجار في أوروبا إلي التعامل بالمنقوشة الإسلامية دون غيرها حينما استخدموها في دفع قيمة الواردات من الأسواق الإسلامية أو أسواق روسيا أو إمارة كييف أو البندقية أو بيزنطة [٦]. وللتأكيد علي هذه الثقة يكفي الإشارة لقول الرحالة المسلم ابن فضلان (٨٧٩-٩٦٠م) حينما كان في بلاد الروس؛ ووصف موقف التاجر الروسي الوثني حينما يرى السفن

(٦) مصطفى حسن الكنانى: عصر أوفا ملك إنجلترا "٧٥٧-٧٩٦م "، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص ١١٩- ١٢٠.

الإسلامية ترسو في الميناء فيسارع بتقديم القرابين إلى آلهته ويدعوها أن تمن عليه بالربح والمكسب الوفير ويدعو قائلاً: " أريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كل ما أريد ولا يخالفني فيما أقول ". وقد أفاض الرحالة ابن فضلان في ذكر الدنانير أو الدراهم الإسلامية، بيد أن أكثر ما ذكره إثارة للانتباه قوله: إن ملك الصقالبة يتبرك بالدنانير الإسلامية الآتية من بيت مال المسلمين وذلك حينما أرسل ملك الصقالبة إلى خليفة المسلمين يطلب منه دفع نفقات بناء حصن عسكري لمواجهة تهديدات ملك الخزر اليهودي [٧]، وحينما سأله ابن فضلان

---

(٧) سكن الخزر في منطقة استراتيجية تقع على الحدود المشتركة بين قارتي أسيا وأوروبا وتحديداً في المنطقة الواقعة بين بحر قزوين مروراً بالبحر الأسود إلى كييف ومن بحر آرال إلى المجر ، وأصلهم من الشعوب التركية التي سكنت المنطقة من وسط اسيا وذلك قبل ظهور الإسلام ، وما لبثوا أن خضعوا لآتيلا ملك الهون ، ولكن بعد وفاته اتجهوا إلى محاربة الفرس بحكم موقعهم على الحدود المشتركة بين فارس وبيزنطة ، وقد قويت شوكتهم لدرجة أن الامبراطور البيزنطي قسطنطن الخامس تزوج من أميرة خزرية عام ٧٧٥م أنجبت له ولده الإمبراطور ليو الخزري وقد استمروا في التوسع لدرجة أن بحر قزوين أطلق عليه بحر الخزر، وقد بدأت علاقاتهم مع المسلمين منذ الفتوحات الأولى في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وقد خدمتهم الظروف بعد ذلك حينما انشغل المسلمون بالخلافات الداخلية وأحداث الفتنة الكبرى بالإضافة لموقعهم الحصين في منطقة القوقاز، ولكن في أواخر عهد الدولة الأموية تم شن حملة عسكرية ضخمة على بلاد الخزر عام ٧٣٢م انتهت بهزيمة الخزر وطلبهم للمعاهدة وأعلن الخاقان استعداده لاعتناق الإسلام، ولكن سرعان ما انهارت الدولة الأموية ليستعيد الخزر ممتلكاتهم من جديد، وأصبحوا قوة لا يستهان بها لدرجة أنهم أصبحوا بمثابة دولة حاجزة بين المسلمين والبيزنطيين، وكانوا أهم أسباب وقف انتشار الإسلام وحركة التوسع الإسلامية من ناحية الشرق ، وبمرور الوقت تنامت قوة مملكة الخزر أكثر فأكثر وانتعشت اقتصادياً وتجارياً ، وقد تعرض اليهود في بيزنطة لحركة اضطهاد واسعة ترتب عليها هروبهم إلى منطقة القبائل الخزرية واستطاعوا أن يقنعوا أهل البلاد باعتناق=

لماذا لا يبنى الحصن بنفسه من أمواله فمملكته واسعة وماله كثير، فلم يطلب من خليفة المسلمين أن يبنى له حصناً ؟! ، فرد عليه ملك الصقالبة قائلاً : "بأنه لو أردت بناء الحصن من الذهب والفضة لما تعذر علي ذلك وإنما تبركت بمال أمير المؤمنين" [٨] مما يدل على وجود قيمة معنوية لعملة المسلمين كرابطة روحية تجمع بين المسلمين في الشرق الإسلامى وبين الملوك المسلمين في شرق أوروبا ممن اعتنقوا الإسلام، لدرجة أنهم يتبركون بالدينار الوارد إليهم من بلاد المسلمين ويرغبون في الحصول عليه برغم امتلاكهم لكنوز وثروات طائلة في بلادهم.

وعلى الجانب الآخر سنجد أن العملات الذهبية في غرب أوروبا في العصور الوسطى رغم وجود بعضها قبل ظهور الإسلام، إلا أن قيمتها كانت محل شك وريبة، فبداية من العملة الفضية أو الذهبية التي سكت في عهد الملك الفرنجي (كلوفيس) Clovis I (٤٨١- ٥١١م) والتي تباهى بنشرها في الاحتفالات، وقد

= اليهودية وكان ذلك في المدة التي عاصرت هارون الرشيد والخليفة المأمون في المشرق الإسلامي ، وتدريجيا أصبحوا يشكلون مملكة توسعية في بداية القرن التاسع الميلادي ، واتخذوا من مدينة آتيل عاصمة لهم إلى أن قام الروس بقيادة ملكهم (سفياتوسلاف) بمهاجمتهم وأخضعهم لسلطة روسيا آنذاك ، ليتحجم دورهم تاريخياً وسياسيا إلى أن قام المغول بالقضاء عليهم تماما في القرن الحادي عشر الميلادي. لمزيد من التفاصيل انظر: محمد محمد مرسي الشيخ : الخزر وعلاقتهم بالإمبراطورية البيزنطية ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، العدد الثاني، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٨٠م ، ص ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ – ٣٧٧.

(٨) أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد : "رسالة بن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة" ، تحقيق وتعليق وتقديم سامى الدهان ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٦٠م ، ص ١٤٥- ١٤٦،١٥٣ .

سكت الذهبية على النظام الثلاثي أي ثلث من الذهب وثلث من الفضة وثلث من النحاس، أي أن نقاء العملة وجودة الذهب دون المستوى، وفي المقابل نجد الصولدى البيزنطى التي اعترفت المصادر المعاصرة أن ملوك لمبارديا قاموا بتخفيض قيمته وتلاعبوا بنسب الذهب فيه، لدرجة أن الملك اللمباردي (جريمولد Grimoald) (٦٦٢- ٦٧١م) قام بسك عملات بيزنطية ذهبية وفضية مقلدة، وبالإضافة لما سبق هناك دراسات أكدت على تراجع استخدام الصولدى البيزنطى في غرب أوروبا بعامة وفى إنجلترا بخاصة في منتصف القرن الثامن الميلادي [٩]؛ وبالتالي فإن الساحة الأوروبية كانت خالية وبحاجة لعملة ذهبية مضمونة الوزن والنقاء، ولهذا كان من السهل على العملة الإسلامية أن تتحرك بحرية وأريحية لملء هذا الفراغ ، مستندة في ذلك إلى أن كفة الميزان التجاري في صالح التجارة والتجار المسلمين .

(9) Gregory of Tours : The History of The Franks , trans. & Introduction by. Lewis Thorpe , Penguin Books , first Published , 1974 , Book II, Chapt. 38; محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٦٥ – ٦٦ ؛ مصطفى حسن الكنانى : مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

المحور الثاني

الرد على الآراء الرافضة لوجود المنقوشة كعملة قائمة بذاتها.

وقد حاول المؤرخ (فيليب جريرسون) أن يضع " المنقوشة " كعملة إسلامية في إطار الأسطورة ، ويكتفي باعتبارها مجرد وحدة قياس للنقود ، وليست عملة لها وزن أو شكل مادي ملموس ، أو حتى يعتبرها مجرد وصف للدينار الإسلامي ، أو أنها حتى وإن كانت عملة فإن استخدامها كان نادراً وفي أماكن محدودة تتعلق بالمسلمين ، وأن المسئول عن اعتبار المنقوشة الإسلامية عملة أوروبية هم المستشرقون أمثال: (رينهارت دوزى Reinhart Dozy) أو (أدريان لونجبيير Adrien de Longpérier) ، ويبرر المؤرخ (جريرسون) أن السبب في هذا الخلط أن المقصود بالعملة المنقوشة هنا هو الصولدى البيزنطي الذى كان يسك في إيطاليا ؛ لأنه في بداية القرن الثامن الميلادي انخفض وزنه ودرجة نقائه ، وبحلول منتصف القرن الثامن أصبح وزن الصولدى الذي يسك في (سيركواز Syracuse) – جنوب صقلية – لا يتجاوز ٣.٥ جرام، لدرجة أن البابا (أدريان الأول Adrian I (٧٧٢– ٧٩٥م) استبدل الذهب المستخدم في سك الصولدى البيزنطى بالفضة، وبنهاية القرن التاسع ازداد التلاعب في وزن العملة فكان الصولدى الذى يسك في مدينة (سيركواز) يقدر بـ ٣.٨٧جراماً ، بينما نظيره الذي يسك في القسطنطينية يعادل ٤.٤٠ جراماً، مما يعنى أن الصولدى به عيب يتمثل في نقص الوزن عما هو متعارف عليه، ولكي يتم تمييز الصولدى البيزنطى الأصلي عن الصولدى الذى يسك في وسط وشمال إيطاليا كان يطلق عليه solidus mancus أى الصولدى المعيب أو ناقص الوزن ، وبالتالي فإن هذا الرأي ينكر تماما وجود عملة منقوشة لأن كلمة Mancus في اللغة اللاتينية تعنى "defective" بالإنجليزية أي معيب بالعربية، بالإضافة لما سبق فإن المؤرخ

(جريرسون) يؤكد أن الدينار الإسلامي كان يسك في الولايات الشرقية للخلافة الإسلامية ولم يسمح له أن يسك خارجها ، وبالتالي فإن المنقوشة هنا ما هي إلا عملة محلية الصنع يقصد بها الصولدى البيزنطى المسكوك في إيطاليا (١٠).

ولتفنيد الآراء السابقة سيكون الرد علي النحو التالي : إذا كان الرأي السابق يصف المنقوشة الإسلامية بأنها غير موجودة كعملة قائمة بذاتها لوصف الصولدى الذهبي رديء الصنع والمعيب solidus mancus الذي يسك في إيطاليا آنذاك، فلم يناقض المؤرخ نفسه حينما يعترف بأن البابا أدريان ألغى استخدام الذهب في سك العملة واستبدله بالفضة بسبب الغش الذي استشرى في أوزان وقيمة العملات الذهبية؟، وأصدر في عام ٧٧٤م عملة بابوية جديدة من الفضة أطلق عليها The New Denarius أي الدينار الجديد، ويلحظ هنا اختيار البابا لاسم عملته الجديدة وهو "الدينار" أي أن البابا أدريان نفسه استخدم نفس الاسم المتداول لعملة المسلمين وهو الدينار. كما تؤكد بعض الدراسات المتخصصة في العملة والنقود في العصور الوسطى أن غالبية العملات المنقوشة في وسط وشمال إيطاليا كانت تسك من الفضة فقط ، وتم الاكتفاء بالعملات الذهبية التي ترد من الشرق أو الغرب الإسلامي ؛ ولم يكن البابا أدريان الأول آخر البابوات الذين قاموا بسك عملات تحمل اسم الدينار الجديد ليتم تداولها داخل الولايات البابوية ، بل هناك البابا (حنا الثامن John VIII (٨٧٢-٨٨٢م) الأب الروحي للحروب

(10) Philip Grierson : Carolingian Europe and the Arabs " the Myth of the Mancus" , p. 1068 – 1069 , 1072 ; Vivien Prigent : Le Mythe du Mancus et les Origines de L'Economie, in R.N , Actes de la Table Ronde, Autour de l'oeuvre de Pierre Bastien. Monnayage impérial romain – Corpus – Ateliers "13-14 mai 2013", Lyon , 2014 , p. 706 – 707.

الدينية ضد المسلمين – وأول من اتخذ مشروعاً بابويا لطرد المسلمين من جنوب إيطاليا وصقلية ثم من أوروبا كلها – ومع ذلك يقوم (حنا الثامن) بإصدار عملة فضية عام ٨٧٢م ليتم تداولها داخل الولايات البابوية تحمل اسم الدينار (١١) . فأي عملات ذهبية تلك التي يتحدث عنها بأنها معيبة، بينما لم يعد موجوداً منها في إيطاليا سوى العملات الفضية، ومن باب أولى كان يمكن للبابا أن يستخدم مثلاً اسم "الصولدى" أو "الصولدى الجديد"، لكن اختيار الاسم يؤكد أن البابا كان يدرك أنه لا وجود أو احترام لأية عملة على أرض الواقع سواء في إيطاليا أو الغرب الأوروبي كله سوى الدينار الإسلامي.

وقد حاولت إحدى الدراسات في التاريخ الاقتصادي أن تحلل رأى المؤرخ جريرسون حول اعتبار أن المنقوشة وحدة قياس وليست عملة ، مبدياً تساؤله: إن كانت المنقوشة وحدة قياس وليست عملة فبم نفسر انتشار كلمة Mancus في إيطاليا وألمانيا وإنجلترا وأسبانيا ؟! وأن القول بعدم سك الدينار العربي إلا في ولايات المشرق الإسلامي لا ينفي وجود الدينار الذهبي العربي في غرب أوروبا منذ أواخر عهد الإمبراطور شارلمان عن طريق التبادل التجاري بين المسلمين وتجار الغرب الأوروبي ، كما أنه لا ينفي دور الأغالبة في جنوب إيطاليا وصقلية وقيامهم بسك العملة الذهبية فائقة الجودة لدرجة أن نقاء الذهب وجودته في العملة وصلت

(11)Philip Grierson : Carolingian Europe and The Arabs " The Myth of The Mancus" , p. . ; Chas Keary : The Coinage of Christian Europe , ed. ed. by Stanley Lane poole , in Coins and Medals: Their Place in History and Art "Authors of the British Museum Official Catalogues" , London , 1885 , p. 80 – 81 .

إلى نسبة تتراوح بين ٩٨ : ٩٩% [١٢] وهو ما يشكل في حد ذاته أكبر دعاية وترويج للدينار أو المنقوشة الإسلامية في الغرب الأوروبي.

ومجمل القول إن نظرية (جريرسون) يمكن نقدها عن طريق إثبات تعامل إيطاليا بالمنقوشة الإسلامية الفضية سواء بين المدن الإيطالية والبابوية ، أو حتى مع البابوية وأعدائها من المسلمين وهو ما ورد في اتفاق البابا (حنا الثامن) مع تجار أمالفى حينما أراد استئجار أسطولهم البحري لمحاربة المسلمين مقابل عشرة آلاف من المنقوشة الفضية، ولكنهم ماطلوا وطالبوا باثنتي عشرة ألف منقوشة فضية، فهددهم البابا بالحرمان وأبدى استعداده أن يزيد المبلغ لألف منقوشة فضية مقابل وقف التجارة والتعامل الاقتصادي مع المسلمين [١٣]. أو حينما دفع البابا

(12) Armand O. Citarella: Patterns in Medieval Trade: The Commerce of Amalfi Before the Crusades , in J.E.H. , Vol. 28 , No.4 , Dec.1968, Cambridge University Press , p. 552- 553 ; Andrew S.ehrenkreutz : Studies in the Monetary History of the Near East in the Middle Ages Ages " The Standard of Fineness of Western and Eastern Dinars before the Crusades", in J.E.S.H.O , Vol. 6, No. 3 (Dec.,1963) , Brill , Michigan,p.251-252.

(13) Iohannes VIII papa : Iohnnes VIII papa Athanasium episcopum Neapolitanum , Petrum episcopum et Pulcarim peraefecturium Amalfitanos, episcopum Caietanum et Docibilem et Iohannem hypatos paribus hortatur , ut tandem aliquando foedus ictum cum saracenis usque ad 1 Decebris 879 dissolvant Pulcarim praeterea ab infestatione Pandenulfi Capuani iudicis dehortatur (Sept. 879) , in Reg. Iohn. VIII , ed. Casp , in M. G. H , tom. V, p. 204 – 205 ; Iohannes VIII papa : Iohnnes VIII papa Petrum episcopum et Pulcarium et populum Amalfitanum hoortatur , ut a foedere Saracenorum tandem recedant , annuam pecuniam et insuper donum 1000 mancusorum eis promittit , alioquin eis anathema et mercatus impedimenta minatur= = (Dec. 879) , in Reg. Iohn. VIII , ed. Casp, in M. G. H , tom. V , p. 218 – 219 . v

(حنا الثامن) مبلغ خمسة وعشرين ألف منقوشة فضية للمسلمين فيما يشبه الجزية حتى يتوقفوا عن محاربة روما التي قاموا بحصارها أكثر من مرة وهو ما ذكره البابا (حنا الثامن) شخصيا في خطابه الذى أرسله إلى ملك إيطاليا (كارلومان Carloman. ٨٧٧- ٨٧٩م) وقد كتب هذا الخطاب في شهر مايو ٨٧٨م [١٤]، وإذا ما افترضنا أن البابوية حينما دفعت للمسلمين الجزية من المنقوشة الفضية (الصولدى المعيب كما يرى البعض) فإنها منحتهم عملة معيبة من الفضة بحكم عدائها للمسلمين ، فلا يعقل أن البابوية دفعت من المنقوشة المعيبة لتجار أمالفى المسيحيين الإيطاليين لتستأجر أسطولهم لمحاربة المسلمين ! ولا يعقل أن تدخل البابوية في تفاوض وفصال مع تجار أمالفى الذين يستزيدون البابوية مزيدا من المنقوشة الفضية لأن البابوية وإن أخفت هذا العيب عن المسلمين فإنها لن تخفيه عن التجار الأمالفيين.

(14) Iohannes VIII papa : Iohnnes VIII papa Kaolomanno regi scribit se et paganorum persecution, quibus censum vigintiquinque milium mancusorum solverit , et Lamberti ac Adelberti marchionum fraude impetitum navale iter in Franciam aggressum esse ad synodum celebrandam Petrum presb . card commendat . (Mai 878) , in Reg. Iohn. VIII , ed. Casp , in M. G. H , tom. V, p. 85 – 86 ; Ferdinand Gregorovius: History of the City of Rome in the Middle Ages , vol. 3 , Cambridge University Press , Cambridge , 2010 , p. 184 .

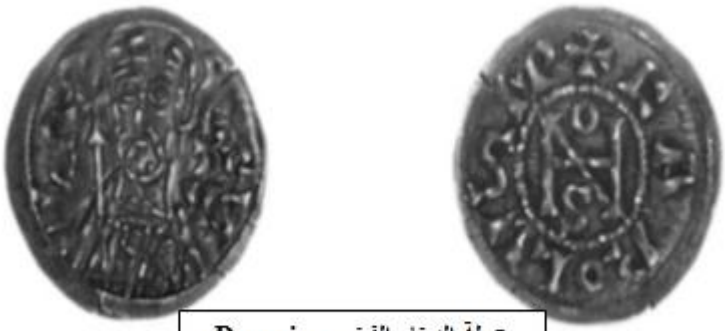

عملة الدينار الفضى Denarius
للبابا حنا الثامن (٨٧٢-٨٨٢م)

وهناك إشكالية طرحتها إحدى الدراسات قائلة: إن من أقوى الأسباب التي تعارض فكرة أن المنقوشة الإسلامية يمكن اعتبارها عملة قائمة بذاتها في الغرب الأوروبي ، أن العملة يجب أن تكون موجودة وراسخة بقوة قبل أن يتم تقليدها بينما أقدم العملات المقلدة للمنقوشة الإسلامية محصورة في المدة من ١٥٧- ١٧٣ أو ١٧٦هـ / ٧٧٤ – ٧٩٢ أو ٧٩٣م ، وبالتالي يمكن اعتبارها عملات وافدة من الشرق الإسلامي جاءت في فترة تبادل السفارات الدبلوماسية بين الخلافة العباسية فى ذلك الوقت والبلاط الكارولنجى فى الغرب الأوروبى(١٥). وهوما تؤيده المصادر الأوروبية المعاصرة التي أكدت تبادل هذه السفارات أكثر بين هارون الرشيد والامبراطور "شارلمان" أربع مرات على الأقل، وكانت الأخيرة فيها بعد وفاة الرجلين

(15) Vivien Prigent : Le Mythe du Mancus et les Origines de L'Economie,p. 704 –705.

فاستقبله أبناؤهما من الحكام الجدد ليثبتوا سياسة والديهما الدبلوماسية بين الشرق والغرب [١٦] .

وللرد على هذا الاتجاه يجب التنويه لأنه في ضوء الملابسات التي تحيط بعملة المنقوشة ينبغي علينا تحديد الفئة المخاطبة بهذه العملة والمهتمة باقتنائها وهم بلا شك فئة التجار وسكان الحدود للمدن التجارية التي تشهد توافد أعداد من التجار المسلمين، لأن الذهب كعملة نقدية متداولة تفترض مستوى اقتصادياً للسكان أعلى من طبقة العامة في الإمبراطورية الكارولنجية، فهي لن تستخدم للتبادل بين العامة في شراء الطعام او الاحتياجات اليومية، وبالتالي فإن العملات المحلية الكارولنجية من النحاس أو المعادن الرديئة أو حتى من الفضة كفيلة بسد هذا الاحتياج، كما أن الكتابات الدينية الإسلامية المكتوبة عليها إذا ما تم ترجمة معناها فهي كفيلة بخلق حالة من الاحتجاج والتذمر بين العامة ، على غرار ما حدث مع الدولة الأموية حينما تعرضت لضغوط الدولة البيزنطية حينما رفضت الكتابات المسيحية البيزنطية على الورق أو القراطيس أو على العملة واستبدلتها بعبارات إسلامية ، فما كان من الإمبراطور البيزنطي إلا أن هدد بسك عملة تسب الرسول عليه الصلاة والسلام [١٧] ، وبالإضافة لما سبق يمكننا القول: إنه بداية من النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي حدث تغير فى مجال العلاقات التجارية بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي حيث شهدت المنطقة تدفقاً مفاجئاً للدينار الإسلامي وانسحاب للنقد الكارولنجي ، في ظل عدم الثبات أو ضعف الاستقرار النقدي حينما اعتمدت الدولة الكارولنجية على العملات الفضية على حساب العملة الذهبية التي لم تعد تسك في البلاد وبالتالي كان من السهل على العملة الإسلامية

(16) Einhard : op. cit. p. 43 – 44 .

(١٧) انظر حاشية رقم ٢ في البحث .

بعامة والمنقوشة بخاصة أن تملأ هذا الفراغ الذى ترتب على عدم وجود عملة ذهبية كارولنجية لها اعتبارها آنذاك (١٨).

وقد انتشرت المنقوشة الإسلامية في كثير من بلاد الغرب الأوروبي حيث أوضحت بعض الدراسات أنه قد عثر على كثير من العملات الإسلامية سواء من الدينار الذهبي أو الدرهم الفضي وكان يعثر في المرة الواحدة علي أعداد كبيرة أغلبها من الفضة وعدد قليل جدا من الذهب ، وقد توزعت العملات التي تم العثور عليها ما بين روسيا، والسويد، والنرويج، والدانمارك، وآيسلندا، واسكتلندا، وكذلك في إنجلترا التي عثر بها على ما يقرب من ١٧٣ عملة إسلامية فضية وذهبية يرجع تاريخها إلى ما قبل عام ١١٠٠م ، وأغلب هذه العملات قادمة من بغداد والأندلس وآسيا الوسطى ، فيما يعد دليلا قوياً على صلات تجارية واقتصادية بين المسلمين شرقا وغربا وبين تجار إنجلترا ، وبعض هذه العملات ينتمي إلى لعصر الأموي أو العباسي، وكذلك للدينار المرابطي بالأندلس ، ومنها عملات مقلدة سكت في إنجلترا لتحاكي الدينار الإسلامي (١٩) .

(18)Vivien Prigent : op.cit., p. 722 , 726 .

(19)Rory Naismith : Islamic Coins from Early Medieval England , in N. C. (1966) , vol. 165 , Royal Numismatic Society , 2005 , p. 194 ; Allan J. : Offa's Imitation of An Arab Dinar , in N.C.J.R.N.S. , 4 th series ,vol. 14 (1914), Royal Numismatic Society , 1914 , p. 77 – 78 .

المحور الثالث

مرحلة تقليد ومحاكاة الغرب الأوروبي لعملة المنقوشة

ويلاحظ أن هناك تطوراً خطيراً حدث في المعنى والمضمون الجوهري لعملة المنقوشة لأنه في المدة من نهاية القرن الثامن وحتى القرن العاشر الميلادي لم تعد العملة المنقوشة تشير إلى الدينار الإسلامي القادم من البلاد الإسلامية بشكل عام ، بل أصبحت عملة مقلدة تحاكي الدينار الإسلامي مع وجود اختلافات يسيرة مقصودة في حد ذاتها ، لتكون بداية إرهاصات أولية لظهور شخصية مستقلة في العملة الأوروبية في غرب أوروبا في العصور الوسطى ، مما يعنى أن ملوك وأباطرة الغرب الأوروبي الذين استخدموا عملة المنقوشة الإسلامية وارتضوا تداولها في بلادهم ، سعوا إلى تطوير العملة وإضافة لمسات واختلافات ملحوظة ليتميزوا بها عن الدينار الإسلامي المعتاد القادم من المشرق أو المغرب الإسلامي ، فانتقلت المنقوشة الإسلامية من المرحلة الأولى وهى مرحلة الاقتباس الكامل للدينار الإسلامي إلى المرحلة الثانية وهى مرحلة المحاكاة والتقليد، صحيح أن المنقوشة كانت وصفاً لعملة الدينار الإسلامي المتداول في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى ، لكنها فيما بعد أصبحت عملة مستقلة حاول بعض الملوك والأباطرة في غرب أوروبا أن يصدروا منها عملات مقلدة عرفت أيضاً بالمنقوشة سواء في إنجلترا ،أو فرنسا، أو ألمانيا، أو إيطاليا، ولكن المنقوشة اختلفت من بلد لآخر حسب المكان الذى سُكت فيه، وشكلت حالة عجيبة من التناقض بين المصطلحات والرموز الإسلامية والمسيحية، لدرجة الاحتفاظ بالكلمات والمصطلحات الدينية الإسلامية مثل الشهادتين أو آيات من القرآن الكريم مع إضافة علامات للصليب أو أسماء الملوك باللغة اللاتينية.

تعد منقوشة الملك (الأنجلوسكسوني أوفا Offa (٧٥٧-٧٩٦م) من أهم النماذج التطبيقية لعملة المنقوشة في إنجلترا ؛ حيث كانت عملة ذهبية يحاكى بها الملك أوفا الدينار الذهبي للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (٧٥٤- ٧٧٥ / ١٣٦ – ١٥٨هـ) فكتب على وجهها الأول [لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفى هامش العملة محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وعلى الوجه الآخر كتب محمد رسول الله وفى منتصف العملة Offa Rex – وتعني الملك أوفا – ، وعلى الهوامش كتب بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وخمسين ومائة هجرياً] – عام ٧٧٤م– (٢٠) .

دينار الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور
(٧٥٤-٧٧٥م / ١٣٦-١٥٨هـ)

منقوشة الملك أوفا Offa of Mercia
(٧٥٧- ٧٩٦م)

(20)Allan J. : Offa's Imitation of An Arab Dinar, p. 79 ; Adrien de Longperier: Remarkable Gold Coin OF OFFA , in N.C. , Vol. 4 (apr.1841- Jan.1842) , Royal Numismatic Society , p. 232 – 233 .

وقد أثار هذا الدينار حالة من الجدل والنقاش في الأوساط العلمية التاريخية حيث ذهب البعض إلى أن هذه العملة دليل على اعتناق الملك أوفا للديانة الإسلامية وانبرى صاحب الرأي في الاستدلال بالعبارات الدينية المنقوشة وعبارات التوحيد التي هي في أصل العقيدة الإسلامية، وأفاض في استعراض الأدلة على اعتناق الملك أوفا للإسلام، ثم أخذ يدحض الآراء المناهضة لتلك الفكرة [٢١]، بينما رأى البعض أن هذه العملة مجرد محاكاة للدينار الإسلامي للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور بغرض تقليد الدينار الإسلامي حتى يقبل التجار المسلمون المتحكمون في طرق التجارة بين الغرب والشرق أن يتعاملوا بها ، مستنداً في رأيه إلى أن ميزان التجارة بين المسلمين والغرب الأوروبي كان يميل لصالح التجار المسلمين ، لحاجة الغرب الأوروبي للبضائع والكماليات الشرقية ، ولأنه من الصعب نقل كميات كبيرة من الدينار الذهبي العباسي إلى حدود بلاد الغرب الأوروبي خاصة إنجلترا أو فرنسا على وجه التحديد، كما أن التجار المسلمين سيحتاجون لكميات كبيرة من الذهب كمقابل لصادراتهم التي لن تغطيها وارداتهم من الغرب الأوروبي ؛ بينما أشار البعض إلى أن تلك العملة التي عثر عليها في روما بإيطاليا كانت واحدة من ٣٦٥ قطعة منقوشة ذهبية كان الملك (أوفا الأنجلوسكسونى) قد وعد بمنحها للبابا كضريبة (بطرس بنس_Peter's Pence) [٢٢] التى تدفع سنوياً

(٢١) مصطفى حسن الكناني: مرجع سابق ، ص ١٢٦ – ١٢٩ .

(٢٢) أول من دفع بنسات بطرس هم الأنجلو ساكسون وهو تبرع يتم إعطاؤه سنويا ، بحيث يدفع كل رب بيت له أرض بنساً واحداً سنويا كتبرع لكنيسة بطرس الرسول – في روما – ، وقد جري ذلك في إنجلترا وشعوب شمال أوروبا ، وما لبث أن سارت باقي شعوب أوروبا علي نهج الأنجلوساكسون ، وهكذا أصبح التبرع بمثابة ضريبة تدفع إجباريا ، لدرجة أن البابا أرسل للملك وليم الفاتح يلومه علي تأخر دفع بنسات بطرس فرد عليه الملك وليم بأنه يدفع بنسات بطرس كتبرع لا كإيجار إقطاعي للبابوية ، وفي عام ١٢١٤ م أرسل البابا (إنوسنت=

للبابوية [٢٣].

وقد ذكرت المصادر الإنجليزية المعاصرة عملة المنقوشة في أكثر من مناسبة أهمها الخطاب الذى أرسله الملك (كوينوولف Coenwulf) ملك مرسيا (٧٩٦-٨٢١م) إلى البابا (ليو الثالث Leo III (٧٩٥- ٨١٦م) ، وقد أخبره أنه أرسل له ١٢٠ منقوشة ذهبية وأنه يتمنى أن يقبلها منه البابا (ليو الثالث) وأن يمنحه بركته ويعتبره ابناً له ، وقد رد البابا (ليو الثالث) على خطاب الملك وأكد أن خطابه وصل وأنه تلقى مبلغ المائة وعشرين منقوشة التي أهداها له . كما ورد ذكر عملة المنقوشة في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر حينما أورد المؤرخ الإنجليزي (وليم مالمسبورى) أنه بعد وفاة الملك (ألفريد Alfred (٨٧١- ٨٩٩م) دفن في دير في مدينة وينشستر Winchester – جنوب شرق إنجلترا- وكانت الأرض التي بنى عليها الدير قد اشتراها من قبل ابنه الملك (إدوارد Edward .٨٩٩-٩٢٤م) تم دفع منقوشة واحدة من الذهب لكل قدم من الأرض بينما ورد فى وصية ملك الملك الأنجلوسكسونى (إثيلوولف Ethelwulf .٨٣٩- ٨٥٨م) أنه

= الثالث) يدين الأساقفة الذين جمعوا ما يقرب من ألف مارك من بنسات بطرس ولم يرسلوا له سوي ثلاثمائة مارك فقط ، ويلحظ هنا أن بنسات بطرس كانت تدفع للبابوية بالإضافة لألف مارك كانت تدفعها إنجلترا مقابل الحماية البابوية، بعد أن سلم الملك يوحنا إنجلترا وأيرلندا للبابا (إنوسنت الثالث) وحكم البلاد كإقطاعية بابوية ، في مايو ٢٠١٣م مع العلم أن تلك الضريبة الإقطاعية ظلت تدفع منذ عام ١٢١٤ م وحتي عام ١٢٣٨ م . انظر :

William the Conqueror : Letter of The King William the Conqueror to Pope Gregory VII in 1079 , in Kings "Letters From the Days of Alfred to the Coming of The Tutors", vol .1 , p. 5 – 6 ; Roger of Wendover: op .cit , . vol .2 , p. 264 – 265 ; see also C .Ency : .Article of Peter's pence.

(23) Allan J. : Offa's Imitation of An Arab Dinar, p. 81 , 87 – 88 ; Adrien de Longperier: Remarkable Gold Coin of Offa, p. 233 – 234 .

أوصى بإرسال ثلاثمائة منقوشة ذهبية إلى روما يتم توزيعها على النحو التالي : مائة منقوشة ذهبية لكنيسة بطرس الرسول ، ومائة منقوشة ذهبية تخصص لشراء الزيت الذى توقد به مصابيح كنيسة القديس
بولس الرسول في عشية عيد الفصح، ومائة منقوشة ذهبية تخصص للبابا [٢٤].

لعل ظهور مجموعة من العملات التي تنسب لملوك الغرب الأوروبي تحاكي الدينار الإسلامي هو أبلغ حجة على أن المنقوشة الإسلامية توغلت في اقتصاد الغرب الأوروبي وأنها عملة وليست وحدة قياس ، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك منقوشة عثر عليها في شمال إنجلترا عام ٢٠٠١م ، وهى تمثل تكراراً لمنقوشة الملك (أوفا) ولكن خامتها رديئة من النحاس المطلي بالذهب ، وهى عملة مقلدة تحاكي الدينار العباسي ، نقشت عليها العبارات الإسلامية على الوجهين ويعتقد أنها ضربت في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلادي قطرها ١٨ مليمتر ، ووزنها حوالى ١.٥جرام بعد أن تم اقتطاع جزء منها لإخضاعها للاختبار [٢٥]

(24) William of Malmesbury: Chronicale of The Kings of England From The Earliest period to The Reign of King Stephen, Tran. By J. A. Giles, London , 1847, p. 82, 121; Asser of saint David's : Annals of The Reign Alfred The Great "from A.D. 849 to 887" , in Six Old English Chronicles , ed. & by , Tran. By J. A. Giles, London , 1884, p. 49; Roger of Wendover : op.cit., vol. 1 , p. 186.

(25) Rory Naismith: Six English Finds of Carolingian-Era Gold Coins , in N.C, vol. 170 , Royal Numismatic Society, 2010 , p. 218 , 223.

عملة المنقوشة المزيفة التى عثر عليها شمال إنجلترا من النحاس المطلى بالذهب نهاية ق ٨م / بداية ق ٩م

بيد أن هناك عملة أخرى مجهولة المصدر يحتفظ بها المتحف البريطاني وسط مجموعة من العملات الشرقية المصنفة على أنها مقلدة تحاكي الدينار العباسي ، سكت في عام ١٧٣هـ / ٧٨٩- ٧٩٠م أو ربما عام ١٧٦هـ / ٧٩٢ – ٧٩٣م وزنه ٣.٩٨٥ جراماً ، قطرها ١٩ مليميتر ، وقد تم اعتماد هذه القطعة كعملة مقلدة لكنها قيمة من حيث تاريخ صناعتها ، ويبدو أن الصانع كان لا يعرف اللغة العربية بدليل الأخطاء الإملائية الواضحة ، وقد نقش علي هذه العملة عبارات دينية إسلامية فعلى الوجه الأول كتب [لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي الأسفل في الهامش مرسوم صليب على أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله] وعلى الوجه الآخر في المنتصف [محمد رسول الله ، وفى الأعلى والأسفل رسم صليب وعلى هوامش أو أطراف العملة كتب "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ثلث (ست) وسبعين ومائة] ويلحظ أن الكتابة على الدينار تحوي أخطاءً إملائية ومن الواضح أن الصلبان التي رسمت في الهوامش أقحمت على حساب الدقة في

كتابة الكلمات العربية ، ويعتقد المؤرخ أن هذه العملة جاءت إلى أوروبا عن طريق التجارة [٢٦] .

منقوشة مقلدة ضربت عام ١٧٣هـ / ٧٨٩- ٧٩٠م أو ربما عام ١٧٦هـ / ٧٩٢ – ٧٩٣م في المتحف البريطاني

وهناك ملحوظة خطيرة يجب التنويه عنها ، وهى أن العرب والمسلمين سبقوا الغرب الأوروبي في العصور الوسطى حينما قاموا بسك عملة تجمع بين اللغة العربية واللغة اللاتينية، وهو ما يعرف تاريخياً بالدينار العربي اللاتيني الذى استخدمه المسلمون بعد الفتح الإسلامي، وتم سكه أول مرة في عام ٩٣هـ / ٧١١م ؛ حيث جمع الدينار العربي اللاتيني بين النقوش العربية الإسلامية وعلى الوجه الآخر كتابات بالحروف اللاتينية ، وهناك أيضاً الدينار الذى تم سكه في عهد والي الأندلس الحر بن عبد الرحمن الثقفى ٩٨هـ / ٧١٦م [٢٧] وكتب علي الوجه

(26) N. M. Lowick : A New Type of "Solidus Mancus" , in N.C. , 7 th Series, Vol. 13, Royal Numismatic Society , 1973 , p. 173 – 174 .

(٢٧) تم تعيينه واليا على الأندلس لمدة ثلاث سنوات، ومن أهم اعماله نقل الإمارة أو العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة . =

الأول أن هذا الدينار ضرب في عام ثمانية وتسعين بينما كتب على الوجه الآخر باللاتينية "Feritus Solidus in Spania anno XCVII" وتعنى ضرب هذا الصولدى عام سبعة وتسعين – أي هناك اختلاف في سنة سك العملة ما بين الكتابة العربية واللاتينية [٢٨]، كما يلحظ أن العملة كتب عليها باللاتينية صولدى وليس دينار ، والهدف من ذكر الدينار العربي اللاتيني هو تبيان أن هذا الأمر لم يترتب عليه اتهام للمسلمين الفاتحين بالارتداد عن الإسلام أو أنهم رفضوا التعامل بالدينار الإسلامي ، وإنما استقر الأمر على أن المسلمين الفاتحين أرادوا التدرج في فرض العملة الإسلامية بالأندلس ولم يتطرق أحد لأى تفسير ديني أو عاطفي، وعلى نفس المبدأ يمكننا القول أن وجود كتابات إسلامية ولاتينية قد يرمى إلى نفس الهدف بالإضافة إلى الرغبة في الاستفادة من محاكاة وتقليد العملات الإسلامية القوية ليقتنع بها التجار الأجانب الوافدون للغرب الأوروبي بعامة والتجار المسلمون بخاصة .

= ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ليفى بروفنسال وآخرون ، ج٢ ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٢٥ .

(٢٨) محمد العناسوة : المسكوكات مصادر وثائقية للمعلومات في التاريخ الإسلامي "دراسة تحليلية للعملات الأندلسية، والفاطمية، والمرابطية، والموحدية في المغرب العربي" ، في مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج. ٤٣، العدد الأول، الجامعة الأردنية، ٢٠١٦م، ص ١٦١، ١٦٢؛ الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب، والتاريخ، والفلسفة، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٧م، ص ٢٠– ٢١.

الدينار الصولدى او الدينار العربى
اللاتينى سك فى عام ٩٨هـ / ٧١٦م

ومع اجتياز عملة المنقوشة لمرحلة المحاكاة والتقليد ينبغي التأكيد على نقطة غاية في الأهمية وهى أن بعض المؤرخين قد اعتبروا أن العثور علي بعض عملات المنقوشة في أوروبا والتي تحمل عبارات إسلامية مثل كتابة الآيات القرآنية وعبارات التوحيد ، يعد مؤشراً ودليلاً على أن الملوك الأوروبيين المعاصرين لتلك العملة قد اعتنقوا الإسلام سراً أو جهراً ، وهنا ينبغي علينا تحديد نقاط مبدئية للاتفاق عليها ، وأهمها أن الأشخاص هم من ينالون شرف الانتساب إلى الإسلام وليس العكس، وليس خافياً على أحد الموقف الحضاري للدولة الإسلامية والعصر الذهبي الذي كانت ترفل فيه مقارنة بالغرب الأوروبي خاصة في بدايات العصور الوسطى، وبالتالي فنحن لن نستخلص نتائج تاريخية بناء على نزعة دينية أو عاطفة لإثبات أي شيء، خاصة أن الملوك أو الأباطرة الذين قاموا بتقليد ومحاكاة العملة الإسلامية لم يثبت مصدريا اعتناقهم للإسلام أو أنهم قاموا بأية محاولة لنشر الإسلام في بلادهم ولم نر شعوبهم تدخل في دين الله أفواجاً ، بل على النقيض تماما حمل بعضهم ألقابا دينية أوتم إعلانهم قديسين في الكنيسة الكاثوليكية ، مثل الإمبراطور الكارولنجى (لويس التقى Louis the Pious ٨١٣-٨٤٠م) الذى أشارت دراسة إلى العثور على ست عملات منقوشة تنتمي

لعهده ؛ منهم واحدة كتب عليها عبارات إسلامية [٢٩]، وكذلك الإمبراطور الألماني هنري الثاني Henry II (١٠١٤- ١٠٢٤م) والذى أعلنته الكنيسة الكاثوليكية قديساً عام ١١٤٦م [٣٠]. وبالتالي فإن التحليل الأقرب للمنطق هو رغبة هؤلاء الحكام في الاستفادة من الوضع الاقتصادي أو الاستقرار النقدي للدينار الإسلامي فسعوا لمحاكاته والاستفادة من التشبه والتمثل به. فكانت مرحلة المحاكاة والتقليد وإيجاد بعض الاختلافات التي تمثل إرهاصاً لظهور النزعة الفردية والشخصية الاقتصادية للغرب الأوروبي المسيحي الكاثوليكي، لإيجاد عملة بديلة تخرج من رحم الدينار الإسلامي وتحل محله تدريجياً في غرب أوروبا .

(29)Rory Naismith: Six English Finds of Carolingian-Era Gold Coins, pp.223-224.

(30)David Hugh Farmer: Article of " Henry II (973 1024) Holy Roman Emperor " , in The Oxford Dictionary of Saints, Oxford University press , Oxford , 2004 .

المحور الرابع

موقف سكان الحدود من انتشار عملة المنقوشة في غرب أوروبا.

لقد أدى انتشار عملة المنقوشة في غرب أوروبا لظهور تهديد خطير؛ آلا وهو التزوير أو التقليد لأن فكرة الثقة في وزن العملة ونقاء الذهب أو الفضة ضربت في مقتل ، فها هي عملات من معادن رديئة مثل النحاس المطلي بالذهب مما يعنى أن السلطة المركزية للملوك والأباطرة في غرب أوروبا قد أرخت قبضتها الرقابية على العملة وهى قضية تورط فيها سكان الحدود في غرب أوروبا وبمعنى أدق أشارت إليهم أصابع الاتهام بتهريب العملة الذهبية من داخل الإمبراطورية إلى الخارج ، وفى الوقت نفسه تورطوا في إدخال عملات مزورة ومقلدة من خارج البلاد إلى الداخل ، وربما كان ذلك عن طريق التجار الأجانب أوعن طريق سكان الحدود وقد تم الاستناد في هذا الاتهام بناء على تناول بعض المؤرخين لبعض العملات المزورة –كما سبق الذكر– عثر عليها في شمال غرب أوروبا ، ولعل مجموعة القوانين والتشريعات التي صدرت لمعالجة هذا الأمر وحددت عقوبات رادعة مثل مجموعة قوانين شارلمان عام ٧٩٤م التي تعاقب من يرفض التعامل بعملة البلاد الرسمية ، أو في قوانين عام ٨٠٥م التي قالت: إن العملة المزورة انتشرت في البلاد ولن يتم الاعتراف سوى بالعملات التي تسك داخل دور السكة الملكية، كما استمرت محاربة العملات المزورة في عهد الإمبراطور لويس التقي والإمبراطور (شارل الأصلع Sharles The Bald ٨٤٠ – ٨٧٧م) بسن القوانين ، ويبدو أن الأمور ازدادت تدهوراً لدرجة أن العمال القائمين على سك النقود تورطوا في

التلاعب بأوزانها والاقتطاع من قيمتها عن قصد وتعمد بغرض السرقة ، مما استوجب إصدار قانون لمعاقبتهم بقطع الأيدي إذا ثبتت عليهم الجريمة[٣١] .

على الجانب الأخر سنجد أن العملات الفضية أو الدراهم الفضية الإسلامية لم تنل حظاً وافراً في الانتشار خاصة في إنجلترا ، بيد أن الأمور اختلفت تماما حينما نتحدث عن روسيا أو البلاد الإسكندنافية لدرجة أن العثور على الدراهم الفضية كان مرتبطاً بالعثور على المستعمرات الإسكندنافية في إنجلترا خاصة في المدة من ٨٧٠ – ٩٣٠م ، وأن العثور على العملات الفضية اقتصر على المناطق التي لم تهتم بتداول العملات الذهبية [٣٢] ، وبالتالي يمكننا القول: إن الحرص على التقليد أو المحاكاة للدراهم الفضية الإسلامية لم يكن يسير في خط متوازٍ مع العملات الذهبية التي كانت أكثر شهرة في ذلك الوقت ، وكذلك لوجود منافسة واسعة الانتشار سواء في إنجلترا أو الامبراطورية الكارولنجية حيث توافرت العملات الفضية المحلية بكثرة .

لم تقتصر حركة المحاكاة والتقليد على إنجلترا وحدها بل امتدت إلى إسبانيا مثل الدينار الأندلسي للخليفة هشام المؤيد Hisham II (٩٦٥ – ١٠١٣م) ورد به اسم هنريش ويعتقد أنه لأمير إسباني موالٍ للمسلمين حكم إحدى مدن الحدود الإسبانية المشتركة مع المسلمين في عهد هشام المؤيد ، وهناك منقوشة الإمبراطور الألماني (هنري الرابع Henry IV ١٠٥٦– ١١٠٥م) التي تحاكي الدينار الإسلامي الفضي للخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥– ٣٢٠هـ / ٩٠٨–

(٣١) محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٦٩– ٧٤ ؛

Rory Naismith: Six English Finds of Carolingian-Era Gold Coins, pp.218 , 223-224 .

(32) Rory Naismith : Islamic Coins from Early Medieval England , p.208-209.

٩٣٢م) [٣٣]، ومن المنطقي أن التقليد هنا لن يكون لعملة معيبة أو سيئة السمعة ، بل هو تقليد لعملة قوية لها احترامها في التجارة العالمية في العصور الوسطى آنذاك وإلا لن يعترف بهذه العملة أحد أو يسعى للتعامل بها فالتقليد يكون للجيد وليس للسيء .

(33)Adrien de Longperier : The gold Mancus , in N.C.J.N.S , vol. 5 , Royal Numismatic Society , (Apr. 1842 – Jan. 1843) , p.122.

المحور الخامس

مرحلة التمرد وتخلى الغرب الأوروبي عن استخدام عملة المنقوشة

لم يكن من المنتظر أن تستمر مرحلة التقليد والمحاكاة لعملة المنقوشة طويلاً، فآجلاً أو عاجلاً كان أباطرة وملوك الغرب الأوروبي سيعلنون تمردهم ورغبتهم في الاستقلال النقدي والمعنوي ليخرجوا بعملة مسيحية خالصة ، كما فعل المسلمون في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان حينما كان الدينار الإسلامي هو وسيلتهم في التعبير عن الاستقلال المادي والسياسي عن الدولة البيزنطية ، ففي الوقت الذى كان الملك القشتالي (ألفونسو الثامن Alfonso VIII of Castile ١١٥٥-١٢١٤م) يصول ويجول في حروبه مع المسلمين في الأندلس كان يشعر أن نجاحه العسكري وحده لا يكفى ، فكانت منقوشته التي كتبت باللغة العربية بشكل واضح وصريح حيث قام بمحاكاة العملة الذهبية للخليفة الأموي هشام الثاني المؤيد، فاحتفظ في الكتابة والنقش باللغة العربية لكنه استبدل المصطلحات والعبارات الإسلامية بالعبارات والمصطلحات المسيحية ، وكتب فيها على الوجه الأول في المنتصف " أمير القطلان الفونسو ين سانجو أيده الله ونصره ، وعلى الإطار" ضرب هذا الدينار في طليطلة عام ١٢٢٩(هذا التاريخ طبقاً للتقويم الأيبيرى (الإسباني) الذى يبدأ من عام ٣٨ ق.م. ، وهى سنة خضوع إسبانيا لحكم الإمبراطورية الرومانية وبذلك يكون هذا الدينار قد سك عام ١١٩١م . وعلى الوجه الآخر نقش " إمام البيعة المسيحية البابا، وثلاث حروف لاتينية "ALF" وهى مختصر لاسم الملك Alfonso ، بسم الله والابن والروح القدس إله واحد من آمن وتعمد يكون سالماً " [٣٤].

(٣٤) محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٣٠٥ .

[1]

ويلحظ أن عملة الملك ألفونس الثامن تمثل بعداً جديداً ومستوى أخر ينقلنا إلى المرحلة الثالثة والأخيرة من المراحل التي مرت بها عملة المنقوشة وهى مرحلة التمرد لأن الأمر لم يعد قاصرا على الكتابات العربية والآيات القرآنية التي تكتب على المنقوشة وإنما تعدى الأمر إلى الاحتفاظ بالكتابات العربية ولكن مضمون الكلام مسيحي كاثوليكي صرف يتعلق بذكر عقيدة التثليث في الديانة المسيحية والتعميد والخلاص مع ذكر البابا الكاثوليكى الذى يمثل رأس الكنيسة الكاثوليكية ، وعلى الوجه الآخر اسم الملك والدعاء له بالتأييد والنصر، وبالتدقيق فيما وراء ذلك سنجد أن الفئة المخاطبة بهذه العملة يفترض فيهم أنهم يعرفون اللغة العربية وسيميزون الفرق بين الكتابات الإسلامية والمسيحية ، وفى نفس الوقت نطرح سؤالا مهما حول الداعي لذكر اسم البابا ؟! ما لم يكن الغرض من ذلك كسب تأييد البابوية لهذه الخطوة وفى نفس الوقت كسب تعاطف الشعوب المسيحية في الغرب الأوروبي وتقديم العملة الذهبية المنقوشة للملك ألفونسو الثامن على

أنها بديل للعملات الذهبية الإسلامية بالأندلس مستغلين بذلك الترويج الديني والدعم البابوي لفكرة مواجهة العملة الإسلامية بأخرى مسيحية . وعلى الرغم مما سبق فإن الملك ألفونسو لم تواته الشجاعة للتخلص نهائياً من الشكل العربي والكتابات العربية ، فاحتفظ بالشكل لكنه غير المعنى والمضمون للكلمات .

وقد تباينت الآراء حول المدة التي تراجعت فيها عملة المنقوشة ليتوقف استخدامها في غرب أوروبا، لكن المؤرخ (جريرسون) ذكر أنها ظلت مستخدمة في غرب أوروبا في المدة من القرن الثامن وحتى القرن الثاني عشر الميلادي، بينما ذهب المؤرخ (روري ناسميث) إلى أن العملة المنقوشة ظلت متداولة في إيطاليا ،وفرنسا، وإنجلترا، وألمانيا، وإسكندنافيا من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر[٣٥] .

بيد أن الباحثة تميل إلى أنه ربما كان اختفاء المنقوشة مقترناً بظهور عملات أوروبية منافسة على الساحة مثل عملة الدوقات Ducat الذهبية[٣٦] الإيطالية ، مما أدى إلى تراجع أهمية المنقوشة ثم توقف استخدامها، لأن عملة الدوقات شكلت بديلاً قوياً للعملات الذهبية الإسلامية مثل المنقوشة أو الطرى ، أو بديلاً للصولدى البيزنطي ، وحينما قامت البندقية بسك الدوقات عام ١٢٨٤م فإنها

(35) Philip Grierson, Lucia Travaini: Medieval European Coinage , vol. 14 , p. 466; Rory Naismith: op. cit. , p. 223.

(٣٦) الدوقات Ducat عملة أصدرها ملك صقلية (روجر الثانى Roger II دوق أبوليا منذ ١١٢٧م ثم ملك صقلية ١١٣٠- ١١٥٤م) وكانت تزن ثلاثة جرامات ونصف تقريباً من الذهب النقي والتي تعادل نسبة نقائه ٩٨٦ في الألف ، ونقش على هذه العملة صورة السيد المسيح وكتب عليها باللاتينية ما ترجمته "أيها السيد المسيح دع هذه الدوقية التي تحكمها تكن في خدمتك" . انظر:

محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

حافظت على وزن ونقاء الذهب لدرجة أن إحدى الدراسات الحديثة شبهت الدوقات في العصور الوسطى بأنها مثل الدولار الأمريكي في العصر الحديث ، وأكدت أن العملة انتشرت في الغرب الأوروبي والعالم الإسلامي على السواء وتم تداولها بقوة حتى في بلاد الحجاز وفى مكة أكثر الأماكن الدينية قدسية عند المسلمين ، وبهذا فإن الدوقات هددت الدينار الإسلامي ، وحلت محله تدريجياً ، لدرجة أن المماليك في القرن الرابع عشر والخامس عشر حاولوا تقليد ومحاكاة الدوقات(٣٧)، خاصة أن ظهور الدوقات كان في القرن الثاني عشر حيث شكلت الحروب الصليبية والحرب المقدسة ضد المسلمين وجدان الغرب الأوروبي الكاثوليكي، وجعلت فكرة العداء والحصار الاقتصادي للمسلمين تنمو بشدة حتى تحققت بالفعل أواخر العصور الوسطى وكانت أهم أسباب ضعف الاقتصاد الإسلامي في الشرق أو الغرب .

(37)Bacharach Jere L. : The Dinar versus the Ducat , in I.J.M.E.S , Vol. 4, No. (Jan., 1973), Cambridge University Press , Cambridge , 1973, p. 77 , 79-80.

الاستنتاج conclusion

لقد شهدت العصور الوسطى عملات إسلامية ذات وضع استثنائي، بحيث تم تداولها في أوروبا في العصور الوسطى بعامة وفى الغرب الأوروبي الكاثوليكي بخاصة مثل: المنقوشة، الدينار المرابطي، والتاري ، وعلى الرغم من أن التعصب الديني للغرب الكاثوليكي تجاه المسلمين كان على أشده ، إلا أنهم لم يجدوا حرجاً من تداول عملة المنقوشة بما عليها من عبارات إسلامية في بداية الأمر استخدمت كلمة منقوشة كوصف للدينار الإسلامي فى الغرب الأوروبي سواء كان ذهبياً أو فضياً فيما يمكن أن نعتبرها المرحلة الأولى أو مرحلة الاقتباس الكامل للدينار الإسلامي، ثم في مرحلة ثانية انتقلت المنقوشة إلى مرحلة المحاكاة والتقليد للدينار الإسلامي سواء باحتفاظها بالنقوش والعبارات الإسلامية أو بإدخال بعض التعديلات البسيطة مع الحفاظ على الطابع الإسلامي للعملة ، وأخيراً تأتى مرحلة التمرد على المنقوشة الإسلامية وتوقف استخدامها لأسباب دينية ولاختلافات جوهرية أوقدها الصراع الديني، والاقتصادي، والفكري بين الغرب والشرق .

حازت عملة المنقوشة منذ ظهورها في القرن السابع الميلادي القبول، وحافظت على مكانتها حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، ولاقت ترحيباً واسعاً من الملوك والتجار الأوروبيين بالإضافة إلى ثقة التجار في المناطق الحدودية المشتركة مع المسلمين، أو حتى في التعاملات الخارجية بين ملوك أوروبا وبعضهم البعض

كان لعملة المنقوشة قيمة معنوية كعملة إسلامية شكلت رابطة روحية تجمع بين المسلمين في الشرق الإسلامي وبين الملوك المسلمين في شرق أوروبا ممن اعتنقوا الإسلام جعلتهم يتبركون بالدينار الوارد إليهم من بلاد المسلمين؛ ولهذا كان من السهل على العملة المنقوشة الإسلامية أن تتحرك بحرية وأريحية لملء الفراغ

الناتج عن ضعف العملات الأوروبية المحلية كبديل محتمل للمنقوشة الإسلامية في ظل ميل كفة الميزان التجاري العالمي آنذاك لصالح التجار المسلمين .

شهدت المدة من نهاية القرن الثامن وحتى القرن العاشر الميلادي تحولاً جوهريا في عملة المنقوشة الإسلامية حيث أصبحت عملة مقلدة تحاكي الدينار الإسلامي مع وجود اختلافات يسيرة مقصودة في حد ذاتها ، لتكون بداية إرهاصات أولية لظهور شخصية مستقلة في العملة الأوروبية في غرب أوروبا في العصور الوسطى شكلت رغبة ملوك وحكام الغرب الأوروبي في محاكاة وتقليد للدينار الإسلامي بعداً برجماتياً مبنياً على الاستفادة من الوضع الاقتصادي أو الاستقرار النقدي للدينار الإسلامي فسعوا لمحاكاته والاستفادة من التشبه والتمثل به ، ولا يجوز اعتبار ذلك مؤشراً على اعتناق هؤلاء الملوك للإسلام.

كانت النزعة الفردية والشخصية الاقتصادية للغرب الأوروبي المسيحي الكاثوليكي هي الدافع والحافز لإيجاد عملة بديلة تخرج من رحم المنقوشة الإسلامية لتحل محلها تدريجياً في غرب أوروبا . فكانت الدوقات هي البديل المكافئ لعملات إسلامية متداولة في الغرب الأوروبي خاصة بعد أن توقفت الأنظمة الإسلامية في الشرق – مثل دولة المماليك– عن حماية عملاتها بإجراءات إصلاحية ، كما فشلت في إدارة وتنيمه مواردها بالشكل الكافي وتركزت جل اهتماماتهم في جنى الضرائب والمكوس –وما أشبه اليوم بالبارحة– فالعملة القوية يلزمها إرادة سياسية والتزام حقيقي يستند على تدابير وإجراءات صارمة ، حتى وإن استندت في ذلك على أهداف ذات بعد ديني أو قومي للحفاظ على هوية أصحابها .

جدول (١) توزيع العملات التي عثر عليها في إنجلترا قبل عام ١١٠٠م طبقاً لانتمائها للأسرات الإسلامية الحاكمة

الأسرة الحاكمة	عدد العملات الذهبية والفضية	النسبة المئوية من ١٧٣ عملة التي عثر عليها في إنجلترا قبل عام ١١٠٠م
الأمويون	٣ عملات	% ١.٧٣
العباسيون	٥٧ عملة	% ٣٢.٩٥
الأمويون بالأندلس	٤ عملات	% ٢.٣١
العملات المقلدة في إنجلترا	٨ عملات	% ٤.٦٢
عملات إسلامية متنوعة	١٠١ عملة	% ٥٨.٣٨
الاجمالى	١٧٣ عملة	----------

منقول بتصرف عن :

Rory Naismith : Islamic Coins from Early Medieval England , p.220.

قائمة المختصرات

A.J.N	**American Journal of Numismatics**
I.J.M.E.S	**International Journal of Middle East Studies**
J.E.H	**The Journal of Economic History**
J.E.S.H.O	**Journal of the Economic and Social History of the Orient**
M. G. H	**Monumenta Germaniae Historica**
N.C	**Numismatic Chronicle**
N.C.J.N.S	**Numismatic Chronicle and Journal of the Numismatic Society**
P.M.L.A	**Modern Language Association**
RBPH	**Revue belge de Philologie et d'Histoire**
R.N	**Revue Numismatique**